AIJLLS |SEPTEMBER 2019 | VOL 3 ISSUE 8
مجلة اللسان الدولية / العدد الثامن (سبتمبر 2019م/ 1441 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

دراسة انساق بنية الخطاب النبوي في شعر ابن جابر الأندلسي

Dirasat Ansaq Binyatul Khita Annabawiy Fi Shiir Ibn Jabir Alandalusy

أ.م.د. بان كاظم مكي السامرائي

Asst. Prof. Dr. Ban Makiy Assamarrai

كلية التربية للبنات _ الجامعة العراقية

banalsqar@yahoo.com

ملخص البحث:

المقصود بدراسة أنساق البنية للخطاب النبوي هو رصد لتطور القصيدة العربية بين الشكل والمضمون وليس التمرد بأي شكل من الأشكال على التراث، من هنا نجد من الضرورة بمكان أن نتعامل مع تراثنا الشعري المضيء تعاملاً واقعياً وموضوعياً، وبروح انتقائية تمكننا من الاستنارة به، ومن وضع اليد على كنوزه الثمينة، إذ لا بد من توظيف الكنوز التراثية توظيفا فاعلاً ومتفاعلاً مع تحديات الحاضر الراهن، مستشرفاً لمعالم المستقبل، وهنا منبع الدافع إلى التجديد وتجلياته المبررة.فقد كان الشعر الذي قيل في مدح الرسول محمد صل الله عليه وسلم والدفاع عن الإسلام، شعراً غنياً بالمفاهيم الهادفة العالية، زاخراً بالجوانب الفنية، وكان لهذا الشعر خصوصية مميزة في إطار الشعر العربي، وذلك لصلته بحب النبي صل الله عليه وسلم. وعلى وفق هذا المنظور كان اختيار الباحث لهذا الموضوع ، لأسبابٍ عدة أهمها أن شعر يتعلق بأعظم شخصية وهي شخصية النبي محمد صل الله عليه وسلم ، وأن أية دراسة شعرية تتعلق بشخصه صل الله عليه وسلم تكتسب قيمة مضافة.

الكلمات المفتاحية : ابن جابر الأندلسي ، انساق القصيدة ، البنية الشعرية ، الخطاب النبوي.

ABSTRACT:

The intention of harmonizing the structure of the prophetic discourse is to monitor the development of the Arabic poem between form and content and not to revolt in any way against herita From here, we find it necessary to deal with our illuminated poetic heritage in a realistic and objective manner, and in a selective spirit that enables us to enlighten it, and to place a hand on its precious treasures, as it is necessary to employ the heritage treasures effectively and interactively with the challenges of the present day, looking for the landmarks of the future, and here The source of the motivation for renewal and its justified manifestations. The poetry that was said in the praise of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace and the defense of Islam, was a poet rich in high purposeful concepts, replete with artistic aspects, and this poetry had a special peculiarity in the context of Arabic poetry,

due to its connection with the love of the Prophet, may God bless him and grant him peace.According to this perspective, the researcher's choice of this subject was for several reasons, the most important of which is that poetry relates to the greatest personality which is the personality of the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, and that any poetry study related to his person, may God’s prayers and peace be upon him, acquires added value.

Key words: Ibn Jabir Al-Andalusi, poem coordination, poetic structure, prophetic discourse

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, اما بعد:

إن شعر المديح النبوي من أكثر الفنون الشعرية اتصالاً بالنفس الانسانية, فهو يرتبط بالإنسان مخاطباً مشاعره وعواطفه متطرقاً الى الحقائق التي تتعلق بحب الرسول صل الله عيله وسلم , فعلى الرغم ان هذا الغرض مشرقي الاصل الا انه انطبع بطابع اندلسي خاص, ومن الشعراء الذين أولوا شعر المديح عنايتهم ابن جابر الأندلسي، فكان هذا البحث الذي يتناول التعريف بإسهاماته في بنية الخطاب النبوي.

إشكالية البحث:

تكمن مشكلة البحث في ان التجربة الشعرية للشاعر تعد من التجارب المهمة فهو لا يصدر الابعد التأكد من صيرورته ويسعى الباحث الى التوقف على مجالات الابداع واظهار ما يتميز به الشاعر من جماليات التعبير الممزوجة بالمشاعر الصادقة في مدح سيد الورى الرسول الكريم محمد صل الله عليه وسلم.

منهج البحث

أما المنهج الذي اعتمده الباحث فكان منهجاً تحليلياً فنياً وصفياً حاول الباحث استنطاق النصوص الشعرية من ديوان الشاعر وبالاعتماد على المصادر الأدبية والنقدية والبلاغية التي هيأت للبحث مادته ، وذلك من خلال تحليل ما توصل إليه من معلومات وحقائق حول ما يخصّ بنية الخطاب النبوي والتعرف على مكنونات البيت الشعري من اجل اظهار مواطن الابداع لدى الشاعر الاندلسي.

الاسئلة التي يجيب عنها البحث :

أما أهم الاسئلة التي يجيب عنها البحث كيفية توظيف اللغة الشعرية ، وكيف استطاع الشاعر النسج بين الألفاظ والمعاني للتعبير عن مشاعره ، وما هي أهم أراء النقاد في شعره وماهي أهم المؤثرات التي أسهمت في نتاجه الشعري , فقد عرف العرب المديح النبوي منذ البعثة النبوية الشريفة , وهو من الاغراض التي لها صلة وثيقة بالعاطفة, اذ يعبر فيها الشاعر عن تجربة التعبير عن شخصية محببه الى النفس, وقد بقيت الصورة المدحية تتوكأ على المعاني والاساليب المتوارثة طيلة العصور الادبية مع اختلاف يسير في مظاهر الشكل والتعبير والتفكير, اذ كان الشاعر الاندلسي يحذو حذو النماذج المشرقية, وكانت تأثيرات المشرق جلية في اشعارهم, وكان شعر المديح النبوي الاندلسي عبارة عن منسوج موروث عن المشارقة في صوره ومعانيه واخيلتهِ.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية البحث من خلال أظهار انساق بنية القصائد النبوية في الاندلس , وماهي اهم مؤثرات البيئية في شعره من جانب ومن الجانب الاخر فإن الدراسة توضح المعاني ودلالتها والعوامل المؤثرة.

الدراسات السابقة:

كانت هناك دراسات سابقة منها (البناء الفني في شعر ابن جابر الأندلسي) تناولت الدراسة البناء الفني في شعره ولكنها لم تتناول بنية الأنساق للقصيدة النبوية عند الشاعر فكانت مهمة الباحث دراسة الجانب المتعلق بقصائد المدائح النبوية والوقوف على الأنساق في الخطاب النبوي.

ابرز النتائج:

شيوع ظاهرة المديح النبوي ,فعلى الرغم ان هذا الغرض مشرقي الاصل الا انه انطبع بطابع اندلسي خاص, والاوضاع التي كانت عليها الاندلس من ترف ادى الى توجه الكثير من الشعراء الى ظهور هذا النوع من الشعر في الاندلس , وابن جابر الاندلسي احد هؤلاء الشعراء قد اتصف شعر المديح بمحبة صادقة، تمثل في الكم الكبير من الشعر الذي أفرده لهذه الغاية , كما استغل الشاعر دلالات اللغة التعبيرية في الكشف عن الجانب المكنون في نفسه، فضلاً عن شيوع الاقتباس والتضمين مما شكل مهيمنات أسلوبية واضحة.ولم ينس الشاعر تلوين اشعارهم بالكنايات والتشبيهات والاستعارات والمحسنات البديعية, ولقد نجح في اختيار الفاظه ولقد تجاورت حروفها وتعاونت وانسجمت ,

ولقد اشتمل هذا البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة ، في التمهيد تناول الباحث حياة الشاعر ابن جابر الاندلسي, اما المبحث الاول تناول شعر المديح عند ابن جابر، أما المبحث الثاني فكان يتناول دراسة الأنساق للخطاب النبوي عند ابن جابر. بعدها الخاتمة التي وضح بها أهم نتائج البحث.

تمهيد:

حياة ابن جابر الأندلسي:

1 – اسمهُ، ونسبه، وكنيته، ولقبه :

هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر.( )

وأما كنيته فهي أبو عبد الله، والأخرى ابن جابر، وبها اشتهر ( ).

ولقب بتسعة ألقاب، وهي: شمس الدين، والمري، والمالكي، والأندلسي، والأعمى، والضرير، والنحوي، والهواري، والشمس.( )

2 – ولادته:

ولد ابن جابر في مدينة المرِيَّة بالأندلس سنة (698هـ).( )

3 – نشأته:

نشأ ابن جابر نشأة علمية ، فدرس منذ نعومة أظفاره في مساجدها وأخذ عن شيوخها، فقرأ القُرآن الكريم، وتعلم علوم عصره، ورحل في طلب العلم متوجهاً إلى مصر، فدرس فيها وقرأ، ثم غادرها إلى دمشق عام (741هـ)، وسمع من شيوخها، ثم انتقل إلى حلب عام (743هـ)، ومنها حج بيت الله مراراً ( ).

4 – مؤلفاته:

فيما يأتي سرد بمؤلفات ابن جابر الأندلسي:( )

الحلة السَّيرَا في مدح خير الورى، وتعرف بـ(بديعية العميان) تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب، ط1، 1405هـ-

1985م. ، حلية الفصيح في نظم الفصيح، وهو نظم (فصيح ثعلب) المتوفي(291هـ). ، ديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح، وقد حققهُ الدكتور أحمد فوزي الهيب، وطُبع في دمشق، ط1، عام (2008م). ، رسالة في السيرة ومولد النبي (صلى الله عليه وسلم).

5 – وفاته:

توفي (رحمه الله) سنة (780هـ) في مدينة (إلبيرة) الواقعة على ضفاف نهر الفرات في مدينة حلب، في شهر (جُمادى الآخر).( )

المبحث الأول : الخطاب النبوي عند ابن جابر:

ازدهر فن المديح النبوي بعد العصر الأندلسي، وظهر عدد كبير من الشعراء المبرزين، ولعل أسبقهم في ذلك هو ابن جابر الأندلسي، الذي من الممكن أن يكون أحد ملهمي البوصيري في (بردته) التي فاقت غيرها بجودتها وسيرورتها وإيحائها كثيراً من الشعراء.( )

وأما المديح النبوي عند ابن جابر الأندلسي الهواري، فهو كثير جداً، وكأنه قد تفرغ له تفرغاً كاملاً، إذ نجد له منه ديواناً كاملاً سماه (نظم العقدين في مدح سيد الكونين) ، فضلاً عن قصائد ومقطعات كثيرة متناثرة في كثير من الكتب .

اتسم المديح عند ابن جابر بالصدق والعاطفة السامية القوية، إذ إن الشاعر لم يكن يبغي من مديحه كسباً دنيوياً مادياً، وإنما الذي يبغيه هو التعبير عن مدى حبه للرسول صل الله عليه وسلم لينال رضاه وشفاعته، وقد وظف ألفاظ الحب المتخلفة للتعبير عن ذلك، الأمر الذي أوصله إلى ظهور الغزل النبوي، وهو يشبه الغزل العذري العفيف من وجوه، ويشبه إلى حد كبير شعر الحب الإلهي الذي نجده عند رابعة العدوية وغيرها من الذين أفادوا من الحب العذري وشعره ومعانيه العفيفة وأساليبه المميزة في مناجاتهم للذات الإلهية، وذلك بعد أن طهروه ونقوه من الرواسب والشوائب المادية العالقة به.( )

وعبَّر عن حبه العظيم بشد الرحال لزيارة النبي صل الله عليه وسلم ، ولمدينته المنورة، لذلك قطع ابن جابر لهذه الغاية الفيافي والقفار للقاء الحبيب صل الله عليه وسلم ، ومما قاله في هذا:( )

إليك رسولَ الله جبنا الفلا وخْد

ولولاك لم نهو العقيق ولا الرندا

ولولا اشتياقي أن أراك بمقلتي

لما كنت أشتاق الغوير ولا نجدا

ولولا رجاء القلب من ذلك الحمى

لما اخترت عن أهلي وعن وطني بعدا

ومن أجلكم أصبو إذا هبت الصبا

تجر صباحاً فوق أرضكم بردا

وما أفتر ثغر البرق من أرض بارق

لعينيَ إلا فاض دمعي له وجدا

ولا أستلذ العيش في غير أرضكم

ولا أشتهي من غير مائكم وردا

فقد ذكر الشاعر مقدار شوقه وحبه لزياره قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعطر انفاسه ويكحل انظاره برؤيا قبره الشريف .

وعبر الشاعر في شعره عن مشاعره الجياشة، والحزن من ألم الفراق، فراق الروضة النبوية، والتلهف لزيارته، وتحمل مشاق الطريق لهفة للقاء، والسرور بهذا اللقاء.( )

عرج على بان العُذَيب ونادي

وانشدْ فديتك أين حل فؤادي
وإذا مررت على المنازل بالحمى
فاشرح هنالك لوعتي وسهادي
إيهٍ فديتكِ يا نسيمة خبِّري
كيف الأحبةُ والحمى والوادي
يا سعدُ قد بان العذيب وبانه
فأنزل فديتك قد بدا إسعادي
خذ في البشارة مهجتي يوماً إذا
بان العذيب ونور حسن سعاد
قد صح عيدي يوم أبصر حسنه
وكذا الهلال علامة الأعياد

عبر الشاعر عن مقدار سهاده وحزنه ولوعته لفراق قبر الرسول الشريف وكان يشكو تلك المشاعر للمحيطين به لكثره ماينتابه من شوق ولهفه , فقد ولع ابن جابر بذكر الأماكن الحجازية، لما تمثله هذه الأماكن من مجد تليد، وذكريات عطره مرتبطة بالسيرة النبوية.

أما معاني المديح النبوي عند ابن جابر، فقد ركزت أيضًا على ما حققته النبوة من منافع للبشرية مثل هداية البشرية وفضله على الرسل، كما في قوله:( )

هادي البرية من بعد الضلال ومن له على الرسل
تخصيص وتفضيلُ

وأشار إلى توثيق حياة الرسول صل الله عليه وسلم بذكر بعض غزواته، مثل غزوة بدر الكبرى، ووصفها وصفاً دقيقاً،فضلا عن استخدامه الالفاظ والاماكن المشرقية ليعبر بها عن خلجات نفسه , فقال :( )

بدا يوم بدر وهْو كالبدر حوْلَهُ
كواكبُ في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه
فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية فشرّدهم مثل النعام المجفل
أغذّوا سراعاً يهربون كأنما
تحوّل منهم بطشُ أيْدٍ لأرْجُل
وجاد لهم بالمشرفيّ فسلَّموا
فجاد له بالنفس كل مُجَّدل
عبيدةَ سلْ عنهمْ وحمزةَ واستمع
حديثهم في ذلك اليوم من عل
فهم عتبوا بالسيف عُتبة إذ عدا
فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرتْ
إليه العوالي بالخضاب المعجَّل
وجال أبو جهل فحقّقَ جهله
غداة تردّى بالردى عن تذلل
فأضحى قليباً في القليب وقومه
ففتَّح من أسماعهم كل مقفل
وجاء لهم خير الأنام موبخاً
يؤمونه منها إلى شرٍّ منهل
وأخبر ما أنتمْ بأسمعَ منهمُ
ولكنهم لا يهتدون لِمقْوَل

كما تناول ابن جابر في شعره معجزات الرسول(صل الله عليه وسلم)، مثل قوله:

كلام البعير معه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليه، وانشقاق البدر، وتظليل الغمام، واخضرار الدوح بعد جفافه، وتكليم الميت وقيامه، وشهادة الضب على نبوته، فقال:( )

ذو المعجزات المعجزات لكل من
في صدره دغل ثوى وتجلجا
نطق البعير له وسبَّحتِ الحصى
والجذع حنَّ له بصوت قد شجا
والشمس بعد غروبها رُدت له
والبدر بين يديه شُقَّ وأفرجا
وإذا مشى كان الغمام يظلّه
كرماً إذا لهبُ الهجير توهجا
والدوح أورق بعد يُبس عندما
وافى ومدَّ عليه ظلاً سجسجا
والمَيْت كلَّمه وقام بأمره
يمشي وفي أكفانه قد أدرجا
والضبُّ قال شهدتُ أنك مرسل
للعالمين فمن أجاب فقد نجا
هذي الغزالة إذ أطاعت أمره
وجدت سبيلاً للنجاة ومخرجا

وذكر المعجزات النبوية الشريفة وكيف سبحت الكائنات محبتاً وخشوعاً لعجزات الحبيب المصطفى صل الله عليه وسلم.

وتحدث عن القرآن الكريم، المعجزة الخالدة للرسول (صل الله عليه وسلم)، الذي تحدى الله تعالى به الإنس والجن على أن يأتوا بسورة منه فعجزوا, يقول( ) :

وجاءكم بكتاب فيه موعظة
للسامعين وتبيينٌ وتفصيلُ
وفيه أودِع علمُ الأولّين وعلـ
ـم الآخرين وتحريم وتحليل
علا اتساقاً ونظماً ليس مِن بشرٍ
فللمعارِض تعجيزٌ وتخذيل
والعرْب عن سورة من مثله عجزوا
في وَفْرِهم وهُمُ اللُسْن المقاويل

وذكر ابن جابر شفاعة الرسول(صل الله عليه وسلم)، يوم القيامة، إذ يستشفع به الناس من أهوالها، ثم يذكر فضل الرسول صل الله عليه وسلم في هذا اليوم العظيم، وموقف سائر الأنبياء (عليهم السلام)، فقال :( )

له الشفاعة حيث الرسل جاثيةٌ
وكل شخصٍ لهول الحشر مخبولُ
وجاءت الخلق أفواجاً ليلتمسوا
لهم شفيعاً وما في الأمر تمهيل
وحيث جاؤوا رسولاً قال لست لها
فليس لي عن مقام الخوف تحويل
حتى إذا ما أتوا عيسى يقول لهم
أمرُ الشفاعة للمختار موكول
فقوله الفصل لا ردٌّ ولا فندٌ
إذا تُرَدّ على الناس الأقاويل
حتى إذا سألوا المختار قال لهم
أنا لذاك ولي بالأمر تكفيل
هناك يُدعى به سلْ تُعط وادعُ تُجب
واشفع تُشفَّعْ فوعدُ الله مفعول

ولم يكتف ابن جابر بمدح الرسول (صل الله عليه وسلم)، فحسب، وإنما مدح كل من شرف بالقرب منه، مثل المهاجرين وأثرهم في الإسلام:( )

هُمُ قريشٌ وما أدراك من ملأٍ

مِنْ نيلهم قد جرى في مصرهِمْ نيل

قومٌ وجوههمُ بشْرٌ وأنملهم

بذلٌ وربعمُ بالعز مأهول

ويا مرادك من قوم محبهمُ

ناجٍ وشانيهمُ في النار مملول

تضيءُ أحسابهم ليلاً وأوجههم

كأنما في الدجى منها قناديل

كما مدح أيضاً الأنصار الذين شرفوا بنصرتهم للنبي (صل الله عليه وسلم)، ، وأثره العظيم في الدين، فقال:( )

وساعدتْهُمُ من الأنصار طائفةٌ

بها غدا الشرك قِدْماً وهْو مخذولُ

زُهْرُ الوجوه كرام الفعل عندهمُ

لكل صعب من الأشياء تذليل

يمشون مشي الأسود الضاريات إذا

ما صاحت الحرب في أبطالها جولوا

ومع تنوع الأغراض الشعرية في قصيدة المديح عند ابن جابر، فقد أسهم في ابتكار فن جديد من فنون البديع، وهو فن البديعيات، وهي قصائد ميمية من البحر البسيط في المديح النبوي يحتوي كل بيت منها نوعاً من أنواع البديع، ولكنه يحتاج إلى شرح واف حتى يفهم .( )

المبحث الثاني: تشكل انساق الخطاب النبوي عند ابن جابر:

أولاً: شكل القصيدة: اتخذت القصيدة عند ابن جابر شكلين، هما القصيدة التقليدية والمقطعات القصيرة، والمقطعات كما ذكرها الدكتور يونس السامرائي هي ((الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينه))( ) ؛ وهي تنقسم على ثلاثة أقسام: إن كانت بيتاً واحداً، فهي النتفة أو اليتيم، وإن كانت بيتان أو ثلاثة، فهي نتفة، ومن أربعة إلى سبع، فهي مقطوعة.( )

واتصف شعر ابن جابر بهذه المقطعات أو النتف بكثافة المعاني المرصوصة في الأبيات القليلة، مثل قوله :( )

دفاعٌ لمكروهٍ، أمانٌ لخائفٍ

سحابٌ لمستَجدٍ، هلالٌ لمستعد

دروبٌ على الحسنى، عفوٌ لمن جنى مثيبٌ لمن أثنى،

مجيبٌ لذي قصد

دع الغيث أن أعطى دع الليث إن سطا

دع الروضَ إذ يُهدى دع البدر إذ يهدى

أما شكل القصيدة عند ابن جابر، فقد اتخذ الشكلين الآتيين : الأول: القصيدة ذات الأغراض المتعددة، وقد وظف هذه القصائد في الأغراض الشعرية.

الثاني: القصدية ذات الموضوع الواحد، وقد خصصها لشعر المديح النبوي، وقد شكلت هذه الظاهرة في دواوينه مساحة واسعة جداً، فقد كان عدد القصائد التي تتسم بهذه الميزة (189) قصيدة من أصل (291) قصيده، ولا يختلف بناء هذه القصائد عن غيرها، باستثناء المقدمة التي خصصها لمدح الرسول صل الله عليه وسلم ، كما في قوله :( )

لِقَصْدِكَ نُزْجي في الرَّواحِ الرواحِلا

ونحوكَ نُمضي للقوافي قوافلا

عمد ابن جابر الأندلسي إلى ربط الأبيات المتتابعة مع بعضها لتحقيق تماسك القصيدة، ومن أهم الوسائل التي استخدمها لهذا الغرض: الربط بوساطة أداتي الربط (حرف الواو، وحرف الفاء)، كما في قوله:( )

أجارَ منْ كلَّ من قد جارَ حين أتى
حتىَّ أتاحَ لنا عِزّاً فَلَمْ نُضَم
وعامَ بدْرٍ أعَامَ الخيلَ في دمهمْ
حتىَّ أَبَاتَ أبا جهلٍ على ندم
وحاقَ إذْ جحدُوا حقّ الرسول بِهم كبيرُهمَّ أرأهم
نَزْعَ هامِهم
فهدَّ آطامَ مَنْ قَدْ هادَ إذ طمِعُوا
في شتَّهِ فرمأهم في شتاتهم
وجلَّ عن فضح مَنْ أخفى فجامَلَهَمْ
ماردَّ رائدَ رفْدٍ مِنْ جناتِهم

فقد ربط الشاعر بين هذه الأبيات بحرفي العطف الواو والفاء .

وكذلك استخدم الضمائر العائدة على متقدم، كما في قوله ( ):

لا أطيقُ الصبرَ عنْ أرضٍ بها
من غدا للناسِ في الحشْرِ شفيعا
النبيَّ الهاشميَّ المجتبى
الشفيعَ الوافي الجاهِ الرفيعا
كانَ منْ خيرِ قُريشٍ نَسَبا
ثمَّ أضحى مِنْ بني سعدٍ رضيعا

فقد أخر الممدوح (النبي الهاشمي) إلى البيت الثاني، وأشار إلى ذكره في البيتين الثاني والثالث بالضمائر المستترة. وقد يتعلق ما في بيت معين بما في البيت الذي يسبقه كتعلق الجار والمجرور، في قوله:( )

أصبح من حُرمتِه في حرمٍ
يرفلُ في ظلَّ هِباتٍ وحُظَا
في منزلٍ سِيَّانِ فيهِ رُبهُ
وضَيفُهُ فيما أقتنى وما حَظَا

وقد يكرر بعض العبارات ليضمن وحدة القصيدة، كما في قوله:( )

وحسبك نبعُ الماء بينَ بنانِهِ
وقد عطشوا حتَّى غدا الريُّ شاملا
وفي القمرِ المنشقَّ أكبرُ آيةٍ
فعادَ صحيحاً بعدَ ذا متكاملا
وحسبُكَ تسبيحُ الحصى والطعامِ عنْ
جهارٍ وتسليمُ الوحوشِ فضائلا

ويبدو التكرار هنا واضحاً في مطلعي البيتين الأول والثالث بقوله (وحسبك)، فضلاً عن وحدة الموضوع، وهو الحديث عن المعجزات النبوية التي ضمنت وحدة الفكرة في القصيدة التي ووحدة السياق العام لها.

ثانيا: اللغة الشعرية: يمكن بيان طبيعة اللغة الشعرية في مدائح ابن جابر الأندلسي في المحاور الآتية:

1 – المفردات: وظف الشاعر المفردات اللغوية في شعره لخدمة السياق العام للقصيدة، وتأثرت هذه المفردات غالباً بما يحسه الشاعر ويتأثر به في حياته اليومية، فهو على الرغم من فقدانه نعمة البصر، إلا أن هذا لم يمنعه من توظيف مفردات الطبيعة الشائعة، كما في قوله:( )

إن تحسبِ الرسلُ سماءً قد بَدَتْ

فإنه في أُفقها نجمُ هُدَى

وإن يكن كُلّ كريمٍ قد مَضى

طَلاّ فقد أَضحى لنا غيثَ ندى

وإن يكونوا أَنجماً في فلكٍ

فإنَّهُ بينهم بدرٌ بدَا

واسطةُ السَّلكِ إذا ما نُظمُوا

وَمَلجأُ القومِ إذا الخطبُ عدا

كالبحرِ بل كالبدرِ جوداً وَسَنا

فحبَّذا من اجتدى أو اقتدى

أحسنُ أخلاقاً من الروضِ إذا

ما اختالَ في بردِ النباتِ وارتدى

فيلحظ تكثيف ألفاظ الطبيعة: سماء، أفق، نجم، طلَّ، غيث، ندى، فلك، بدر، بحر، التي تمنح القصيدة صورة طبيعة رائعة. ووظف الشاعر أيضًا المصطلحات العلمية في شعره بكثافة، مثل استخدام مصطلحات علوم الحديث في مديحه، كما في قوله:( )

ما زلتُ أُسنِدُ من محاسنِ أرضها

خبراً صحيحاً ليس بالمقطوع

كم مُرْسَلٍ من نيلها ومُسَلْسَلٍ

وُمدّبَّجٍ من هضبها المرفوع

وفي قوله أيضًا:( )

يضبطِ أحاديثِ الرسول اعتناؤهُمْ

فقد ضبطوا الإسنادَ فيهن والمتنا

وقد صاغ ابن جابر المفردات اللغوية في وحدة تركيبة اتسمت بالانسيابية التوافقية، كما عبر عن ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله: "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"( )، فالبناء اللغوي والتركيبي يمثل مرحلة نضج لغة الشاعر وإبداعه .

2 – الأساليب الإنشائية والخبرية: وظف ابن جابر الأندلسي الأساليب الإنشائية والخبرية، منها: الاستفهام، والنداء، والأمر الخ، وفيما يأتي إيجاز بها: من ذلك قوله:( )

ومن كان في البيت المحرم قارئاً

حديثَ رسول الله كيف يهابُ

فقد وظف أداة الاستفهام (كيف)، وأن الاستفهام هنا خرج إلى النفي، ليحقق ما قصده من فضل القراءة في المسجد الحرام، فهو لا يُرِيُد من السامع جواباً عن هذا السؤال، وإنما يُرِيُد أن يضع السامع أمام حقيقة حدوث المهابة .

وكذلك وظف فعل الأمر في شعره للوصول إلى معانٍ دقيقة تعبر عن خلجات نفسه، وقد اتخذ الشاعر منه وسيلة فنية لإيصال أفكاره وأخيلته إلى المتلقي، لما لهذا الأسلوب من أهمية في بناء النص الأدبي وإثرائه، ومن ذلك قوله:( )

وَعَوّدْ جَميلَ الصَّبْرِ نَفْسَكَ واقَتنِعْ

عَلى مثْلِ مَا عوَّدتَّها أَبَداً تَبْقَى

وَكُنْ لَهُمُ عَبْدَ الشَّرى في الوَرَى فإنْ

هُمُ قَبلُوا فاشكُر ولاَ تطْلُبِ العتِقَا

وَعشْ في حِمَى خَيْرِ الأنَامِ وَمُتْ بهِ

إذا كُنْتَ في الَّدارينِ تطلُبُ أن تُرقَى

إذَا قُمتَ فيمَا بَينَ قَبرٍ وَمِنبرٍ

بطْيَبَةَ فاعرِفْ أينَ مَنزلُكَ الأرْقى

فأفعال الأمر التي اشتملت عليها هذه الأبيات تشعر بعلو منزلة المتكلم، الذي يتصف بالحكمة والدراية، فيوجه المتلقي

ويمنحه من خبراته الشيء الكثير، وقد تجسد هذا في المفردات الآتية: (عود، اقتنع، كن، اشكر، عش، مت، اعرف).

واعتمد ابن جابر على أسلوب النداء لتنبيه المخاطب على ما يجيء من الكلام المنادى له( )، وقد وظف الشاعر النداء ليكون وسيلة لتعداد مآثر النبيب صل الله عليه وسلم ،كما في قوله:( )

يا مُجْتبِيً من خير قومٍ حسباً

فيما أتى من زمنٍ وما مَضى

يا من تداني قابَ قوسين ومن

قيلَ له سلْ تُعط قد نِلتَ الرِّضَا

يا أحلمَ الناسِ على من قَدْ جَنَى

واعدلَ الخلقِ إذا ما قد قَضى

يا مُصغَرِ الألف أذا ما جادَ أو

جرّدَ في الهيجاءِ سيفاً أو نضا

يا ناصحاً أحكم تشييد الهدى عزماً فلما ينتقض ولا انقضى

يا مُضفياً للناسِ ظلَّ رحمةٍ

باتَ العِدا منها على جمر الغَضَا

فقد صدر كل بيت بأداة النداء (يا) الذي ترادف بشكل متلاحق في جميع الأبيات، واعتمد سياق الكلام على ذكر أوصاف المنادى، الأمر الذي يقربّه كثيراً إلى أسلوب الخبر كمحصلةٍ نهائية، وكأن الشاعر يُريد أن يقرر حقيقة سمو الممدوح، وعلو منزلته .

3 – الظواهر الأسلوبية: استخدم ابن جابر الأندلسي الظواهر الأسلوبية المختلفة في شعر المديح، من ذلك :

توظيف التقديم والتأخير لخلق الانزياح في تحقيق توافق اللغة الشعرية، ومن ذلك قوله:( )

عليك صلاة الله يتبعها الرضى

على الأهل والأولاد والآل والصحب

فالمبتدأ هنا (صلاة الله) ودلالة تقديم الخبر هنا الحصر، أي: حصر صلاة الله على المخاطب وهو رسول الله صل الله عليه وسلم فحسب، وهو تقديم وتأخير في الجملة الاسمية. وكذلك قوله :( )

وجدتْ حلاوةَ دينهِ أهلُ التقى

فغدا لأثواب السرائر صائغا

فالتقديم والتأخير واقع في الجملة الفعلية، إذ قدمَّ الشاعر المفعول به (حلاوة) على فاعله (أهلُ) على خلاف أصل الكلام الذي يقتضي تأخير المفعول، فاقتضى حال السامع أن يقدم ما يجهلهُ على ما يعلمهُ أي تقديم المفعول به (حلاوة) على الفاعل (أهل).

كما استخدم أسلوب الحذف، الذي يعد من مزايا اللغة العربية وخصائصها، لكون الحذف يعني الإيجاز، يحقق كما وافراً من البلاغة الساحرة في قوة التأثير.( )

ومن شواهد ذلك عند ابن حازم الأندلسي قوله:( )

لولا اشتياقي لديارٍ كَرُمتْ

لُبعدِها يرثي لنا من قد رثى

وقوله:( )

لولا رسولُ الله فينا لم نفز

من غيّبها فهو لنا نِعمَ الحمى

فالمبتدأ (رسول الله) والخبر شبه الجملة الظرفية (بيننا).

ومن الشواهد قوله:( )

وسلمَّ الظبيُ عليه كرماً

وكلم الميتَ فَقَامَ وَوَعَى

فههنا حذف المفعول به من الجملة الفعلية التي فاعلها (وعى)، إذ من المعروف أن هذا فعلٌ متعد، ولكن لم يستوفِ مفعول في هذا البيت، مما يعني أن الشاعر وظف هذا الفعل ليكون لازماً وهذا التوظيف لَهُ دواعٍ ودلالات، أما دواعي فعله فعلاً لازماً، فعلم مفعوله من توجيه الكلام.

4 – الاقتباس: هو "أن يضمَّن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك، ويجوز أن يحتفظ المقبس بالنص القرآني أو النبوي، أو أن ينقله إلى معنى آخر، كما يجوز له أن يغير في الألفاظ المقتبسة تغييراً يسيراً)").

ومن شواهده عند ابن جابر الأندلسي، قوله:( )

حياءُ المرءِ يزْجره فيخشى

فخفْ مَنْ لا يكونُ لهُ حياءُ

فقد قال الرسولُ بأنَّ ممّا

به نطق الكرامُ الأنبياء

إذا ما أنت لم تستح فاصنعْ

كما تختارُ وافعلْ ما تشاء

ففي البيت الثالث لإشارة لقول رسول الله صل الله عليه وسلم ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت))( )، والإشارة هنا كانت بالمعنى لا باللفظ، وكان بمثابة القاعدة التي ارتكز عليها معنى الأبيات الثلاثة، وأن الاقتباس من الحديث الشريف واضح بل مشارٌ إليه صراحةً في البيت الثاني، لتشكل في ذلك أواصر الدلالة التي يرمي إليها الشاعر، وبذلك يشكل الاقتباس رافداً من روافد المعجم الشعري عند الشاعر.

5 – التضمين: هو((استعارتك الإنصاف والأبيات من غيرك وإدخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك)).( )

ومن شواهد التضمين عند ابن جابر، قوله:( )

وبمّمْ جنابَ الهاشميَّ ولُذْبهِ

ولا تبكِ منْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

فالشاعر يستلهم معلقة امرئ القيس استلهأما واضحاً، إلا أنه وظف شطراً بعينه من هذه المعلقة، وهذا البيت هو البكاء عن حبيب تذكر فراقه وقد وصفه بقوله :( )

قِفَا نبكِ مِنْ ذِكْرىَ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحوَمَلِ

6 – المعارضات: هي أن ينظم شاعرٌ ما قصيدةً تحاكي قصيدةً مشهورةً، بشرط أن تكون على زنتها وتقفيتها ومعناها، أي: أن القصيدتين مشتركتان في الوزن والقافية والمعنى.( )

من شواهده عند ابن جابر، قوله:( )

بانت سعادُ فعِقْدُ الصبرِ محلولُ

والدمعُ في صفحاتِ الخدَّ مبذولُ

لمْ يَخْفَ حُبِّيَ عن واش وكيف بأن

يخفى وسائلُ دمعي عنهُ مسؤول

عذابُ قَلبي عذبٌ في مَحبَّتِها

وعاذلي في هواها اليومَ معذولُ

وقد عارض فيها قصيدة البردة الشهير لكعب بن زهير والتي مطلعها:( )

بانت سُعادُ فَقلبي اليوم متبُولُ

متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبُولُ

وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا

إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ

ثالثاً: الصورة الفنية: تتحقق الصورة الشعرية في أية قصيدة من جملة من العناصر اللغوية والأسلوبية التي تتشكل بوساطة صياغة تركيبية خاصة، وهي "كلام مشحون شحناً قوياً يتألف عادة من عناصر محسوسة، خطوط، ألوان، حركة، ظلال، تحمل في تضاعيفها فكرة وعاطفة: أي أنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي، وتؤلف في مجموعها كلاًما منسجماً"( ). وتتحقق الصورة الشعرية في جملة من الوظائف أهمها:

1 – الصورة التشبيهية: تنتقل الصورة التشبيهية من الشاعر إلى المتلقي بوساطة قراءة خاصة بهذا الأسلوب وهي (وجه الشبه، أداة التشبيه، والمشبه به، الأسلوب والسياق المناسبين) لتصل إلى المتلقي بعد قراءات خاصة فيما بعد ومن تأويل معين.( )

ومن شواهد الصورة التشبيهية عند ابن جابر الأندلسي، قوله ( ):

غيثٌ حمى الرمضاء عنا مثل ما

حمى رسولُ الله جَورَ من بغى

استخدم الشاعر أسلوب التشبيه المقلوب، إذ من المعروف أن يشبه (عطاء الإنسان) بغيث السماء؛ ولكن أن يشبه الغيث بذلك العطاء، فهذا خروج عن المألوف، بل هو مما يسمى بالتشبيه المقلوب .

ومن فوائد هذا التشبيه المبالغة في درجة المشبه من حيث وجه الشبه، بل والزعم بأن المشبه أعلى رتبة من المشبه به، وهذا ما نجده واضحاً في هذا البيت إذا ما أدركنا أن المشبه يتمثل في قول الشاعر (حمى رسولُ الله....)، أي: أن هذا المعنى عطاء الرسول صل الله عليه وسلم وكرمه أعلى رتبة من المشبه به (الغيث) من حيث وجه الشبه .

2 – الصورة المجازية: وهي تتحقق المجاز في " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول.( )"

ومن شواهد ذلك قوله:( )

شدُّوا محاملهم يومَ الرحالِ وقدْ

محا رسومَ اصطباري فقدُ من رحلا

ففي هذا البيت تصويرٌ مزدوج بين المجاز العقلي والصورة الاستعارية، أما المجاز العقلي فمرهون في إسناد الفعل (محا) للفقد، والفقد على وجه الحقيقة ليس لَهُ القدرة على فعلِ أيَّ فعل ما، وليس فعل المحو فحسب، وهذا كفيلٌ بتحقيق الكم الوافر من الخيال في صور الشاعر، أما الصورة الاستعارية فتكمنُ في مفعول الفعل (محا)، أي: قوله: (رسوم اصطباري) فإضافة الاصطبار للرسوم يحقق معالم الاستعارة.

3 – الصورة الاستعارية: وهي " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به.( )"

ومن شواهده عند ابن جابر، قوله:( )

كانت ملائكةُ السماءِ جنودَهُ

فالنصُر يلمع من صوارِمِ قُضْبِهِ

فالاستعارة متمثلة في قوله: (فالنصُر يلمعُ من صوارِمِ قُضْبِهِ) وهنا للتركيب الفضل في تحديد المعنى الدقيق للاستعارة، فللوهلة الأولى يتصور السامع أن المستعار هو السيف فحينما

يقول: (النصرُ يلمعُ) دلُ ذلك أنَّ الاستعارة تصريحيه تتمثل باستعارة السيف للنصر كونهما يلمعان على حدٍ سواء.

الخاتمة ونتائج البحث

في ختام هذا البحث يذكر الباحث أهم ما جاء فيه بما يأتي:

تطور شعر المديح في العصور اللاحقة، ومن الأَسباب الرئيسة لذلك هو تطور التصوف الذي نشأ في عصور الإسلام الأولى واكتملت عباراته ونظامه بظهور علماء وضّحوا أصوله ومقاصده وسبب الركون إلى التصوف هو انشغال عموم المجتمع الإسلامي بالدنيا وافتنانهم بزخرفها، وتعلقهم بالبذخ والترف الذي شغل قلوبهم عن مراقبة الله، وأفقدهم حلاوة الإيمان وحقيقته، على الرغم من تمسكهم بأداء الفرائض، كما برز في هذا العصر عدد من الشعراء الأعلام الذين مدحوا الرسول(صل الله عليه وسلم)،منهم

قد اتصف شعر المديح عند ابن جابر الأندلسي بمحبة صادقة، تمثل في الكم الكبير من الشعر الذي أفرده لهذه الغاية.

وقد مال الشاعر في بعض أشعاره إلى ذكر بعض مصطلحات العلوم الحضرية المتعلقة بالعصر.

كما استغل الشاعر دلالات اللغة التعبيرية في الكشف عن الجانب المكنون في نفسه، فضلاً عن شيوع الاقتباس والتضمين مما شكل مهيمنات أسلوبية واضحة.

فقد شهد شعر ابن جابر شيوع أسلوب الاستفهام بشكل مفرط، وبروزه من بين الأساليب الإنشائية الأخرى التي وردت في شعره.

كما شكل أسلوب الأمر ظاهرة أسلوبية ووسيلة فنية لإيصال أفكاره وأخيلته إلى المتلقي.

و استعمل النداءات المكررة في تقنية تعبيرية مسيطرة على فضاء النص ليعبر بها الشاعر عن خلجاته.

كما وظف ابن جابر فنون الاقتباس والتضمين في شعره، مما يؤكد عمق الثقافة الدينية لديه .

ووظف العناصر البلاغية مثل الصورة الشعرية فاستعمله بكل أدواته وأنواعه.

وقد حفل شعره بالتشبيهات والكنايات والاستعارات فاستثمر الشاعر فاعلية الاستعارة في التشخيص، وأفاد من قدرة الاستعارة على التجسيم .

قائمة المصادر والمراجع:

The Holy Quran

- Al-Ahmar: Abu al-Walid Ismail, the flags of Morocco and Andalusia in the eighth century, investigation by Dr. Muhammad Radwan Al-Dayeh, Al-Resala Foundation, Beirut, 1396 AH - 1976 AD.
- Al-Awsi, Dr. Qais Ismail, Methods of Demand for Grammar and Rhetoric, Bayt Al-Hikma for Publishing, Translation and Distribution, Baghdad. 1988 AD.
- Al-Baqalani, Miracle of the Qur'an, an investigation by Mr. Ahmed Saqr, Dar Al-Maarif, Cairo, 1997.
- Al-Bukhari, Sahih Al-Bukhari, investigation by Dr. Mustafa Deeb Al-Bagha, Dar Ibn Katheer, and Dar Al-Yamamah, Beirut, 3rd floor, 1407 AH -1987 AD.
- Al-Jurjani, Asrar al-Balagha in the science of statement, investigation by Abdul Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1422 AH-2001 CE.
- Rose Gharib, Mahid in Modern Criticism, Dar Ghandour for Printing and Publishing, Beirut, 1971 AD: 192.
- Al-Samarrai, Dr. Yunus Ahmad, Research in Arabic Poetry, House of Wisdom Series, Dar Al-

- Ali Fa`ur, Diwan Ka`b bin Zuhair (d. 26 AH),, Scientific Books, Beirut, 1417 AH-1997 CE.
- Fayed, Dr. Bassiouni Abdel-Fattah, Al-Badi` - Historical and Artistic Study of the Origins of Arabic Rhetoric and Matters of Budaiya, Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, Dar Al-Maalem Al-Thaqafiya, Cairo, 2nd edition, 1998 AD.
- Constantinian, Mustafa ibn Abdullah Clerk Chalabi, revealed misgivings about the names of books and arts, Al-Muthanna Library, Baghdad, 1941 AD.
- Constantine, Mustafa bin Abdullah, the ladder of reaching the layers of stallions, the investigation of Ekmeleddin Ihsanoglu, Mahmoud Abdel-Qader Al-Arnaout, Salih Sadawi Salih, Organization of the Islamic Conference, Ercika Library, Istanbul, 2010.
- Kafrawi, Muhammad Abdul Aziz, History of Arabic Literature, Nahdet Misr Library, Egypt, 1968.
- Lashin, Abd al-Fattah, grammatical structures from the rhetorical point of view at Abd al-Qaher, al-Marikh Publishing House, Saudi Arabia,
- Mubarak, d. Zaki, The Prophet's Praises, The People's Press, Cairo, 1971.
- Al-Mistawi, Abd al-Rahman, Diwan al-Qays, Dar al-Maarefah, Beirut, 2nd floor, 1425 AH-2004 CE.
- Al-Haramah, Dr. Abd al-Hamid, the Andalusian poem during the eighth century AH (phenomena and literary issues), Dar al-Kutub, Cairo, 1996.
- Al-Haib, Ahmad Fawzi, The Poetic Movement, The Time of the Mamluks, Aleppo Al-Shahba, Al-Resala Foundation, Beirut, 1986.
- The Yemeni, Yahya bin Hamza bin Ali Al-Alawi, the style that includes secrets of rhetoric and miracles facts science, the modern library, Beirut, 1423 AH.
- Kutub Press for Printing and Publishing, University of Mosul, 1989.
- Al-Sakhawi, the shining light of the translations of notables of the ninth century, publications of Dar Al-Hayat Library, Beirut, no history.
- Al-Sakaki, Miftah Al-Uloom, set it and wrote his margins and commented on it by Naim Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 2nd edition, 1407 AH -1987 AD.
- Al-Saghir, Dr. Muhammad Hussein Ali, Image in the Qur'an Proverb, Dar Al-Rasheed Publishing, Baghdad, 1981.
- Al-Safadi: We reneged al-Hamyan in the jokes of the blind, commented on it and put his footnotes: Mustafa Abdel Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1428 AH-2007 AD
- Al-Safadi: Al-Wafi Al-Fiati, investigation by Ahmed Al-Arnaout, and Turki Mustafa, Heritage Revival House, Beirut, 1420 AH-2000 CE.
- The blind, Muhammad bin Ahmed bin Ali, the blind, the poetry of Ibn Jaber Al-Andalusi, made by Dr. Ahmed Fawzi Al-Hayb, Saad Al-Din Printing and Publishing House, Damascus, 2007 AD.
- The blind, Muhammad bin Ahmed bin Ali, organized the two decades in praise of the Master of the Universe (may God bless him and grant him peace), the investigation of Dr. Ahmed Fawzi Al-Haib, Dar Saad Eddin for Printing and Publishing, Damascus, 1426 AH - 2005 AD.
- guest, d. Shawky, Rhetoric Evolution and History, Dar Al-Maarif, Egypt, 1965.
- Al-Asqalani, the battalion inherent in the notables of the eight hundred, investigation by Dr. Muhammad Abd al-Mu`id Khan, Press Council of the Ottoman Department of Knowledge, Hyderabad - India, 2nd edition, 1392 AH -1972 AD.
- Al-Askari, Book of Two Industries - Systems and Poetry, Investigation of Ali Muhammad al-Bajawi, and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, The Racist Library, Beirut, 1419 AH.